مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد التاسع، ٢٠١٧ م

معامل التأثير العربي: 2.0

ISSN (Print) : 2277-9914 **e-ISSN (Online) : 2321-2756**

قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
ترونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

أنيس منصور القاص المصري

د/ عرفاني رحيم

أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، جمو وكشمير، الهند

إن هذه االمقالة تعطي صورة نقية لإسهام أنيس منصور في الأدب العربي الذي له وزنه ونفوذه بين الأدباء العرب المعاصرين. فهذا الأديب يتحفنا بمكتبة زاخرة في موضوعات متنوعة التي ستكفي للأجيال الناشئة. فيستحق أن يكون موضوعا للبحث باعتباره الصحفي والروائى وكاتب القصة ذي خبرة واسعة في مجال الأدب كرغبته المفرطة بالقراءة واهتمامه بالكتب والفن. لم يلق أدبه العناية اللائقة من الدراسات والبحوث كما حظى به الأدب للأدباء الآخرين في مصر والأقطار العربية الأخرى. ففي هذه المقالة أنا أريد أن اسلط بعض الضوء على إسهامه في الأدب العربى عامة والقصة القصيرة خاصة. إنه كتب في المجالات المختلفة كالرحلة والسيرة والمقالة والقصة. يقف أنيس منصور في مقدمة أعلام الفكر والفن والأدب الّذين لا تجد لهم ذكرًا في كثير من الدراسات العلمية والأدبية الجادة وإن كان أحد الّذين شغلوا الحياة الثقافية.

أنيس منصور

ولد عام ١٩٢٤م في قرية مصرية بمحافظة الدقهلية. تأثر بالريف المصري جدًّا الذي أعجب بحياة الغجر. كان متفوقًا منذ صغره في كل ما تعلم. وأول كتاب امتدت يداه الصغيرة فهو القرآن الكريم فقد حفظه كاملا في كتاب "الشيخ السيد". لقد تميز عن زملائه في الجامعة وفي المدرسة. كان من أكثر الطلاب محاورة مع أساتذته مثل عبد الرحمان بدوى ولويس عوض وشوقي ضيف ويوسف مراد والشيخ مصطفى عبد الرزاق وغيرهم. التقى في حياته بشخصيات مؤثرة كان لها أبلغ الأثر في تكوينه وتشكيل عقله ووجدانه. كان من الواقعيين الذين يواجهون الحياة مواجهة عملية ومن أصدق الناس إيمانا بمصر والقومية العربية واللغة العربية غير أن هذا الحصاد الضخم في العمل الأدبي هي نتيجة لتجاربه الطويلة في الحياة. تعددت مواهب أنيس منصور، وتنوعت قدراته الإبداعية وتباينت ملكاته. أصدر أكثر من مائتى كتاب في الفلسفة والمسرح والترجمة والسير الذاتية واليوميات والنقد والقصة القصيرة والرحلات والبحث العلمي بالإضافة إلى المسلسلات التلفزيونية والعديد من كتب السياسة والفكر والمقالات. كان يحتل زاويتين في الصحيفتين الكبيرتين "الأهرام" و"الشرق الأوسط. قام بأشهر رحلة صحفية في العالم العربي في عام ١٩٥٩م استغرقت مائتى يوم. ولكل رحلة كانت له تحليلاته ومبرراته الفلسفية الطريفة التي كان من خلالها يعبر عن سلوكيات وعادات البلد التي يزورإليها. عاصر فترة جمال عبد الناصر وكان صديقا مقربا لأنور السادات.

أنيس منصور أديبا:

استقى أنيس منصور أقاصيصه من عدة منابع. فهي إما تجارب شخصية مر بها الكاتب نفسه ثم أخرجها للقارىء في شكل أقصوصة، وإما حوادث مختلفة مما تذخربه الصحف والمجلات فينفعل بها ويحولها إلى

أقاصيص. وإما حكايات وحوادث تروي له في حياته الاجتماعية ومخالطته للناس فينتقى منها ما يصلح أن يكون مادة للأقاصيص. فمحاولاته القصصية تهدف إلى تشكيل الأدب العربي في صورة جديدة تستجيب لمتطلبات العصر. وبشر بأدب مصري قومي، محلي الصبغة والطابع، يهتم بما حوله ويلتقط منه مادته فجعل موضوع قصصه الفلاحين وانحرافاتهم والمرأة ومشاكلها في لغة سليمة خالية من الركاكة ومن الصناعة اللفظية على السواء. وتأثر في واقعيته وأنماط قصصه بالأدب الفرنسي بعامة والروسي على نحو خاص فقام بتمصر بعض قصصه أيضا. قد تكون القصة عنده ممثلة لفكره من الأفكار ومنبعثة عن حدث بل خلق لها الأشخاص خلقا كاملا ويتمثل ذلك في معالجته لقضايا التي تواجهها المجتمع المصري.

فأنيس منصور الذي عاش في المنصورة ظل مشدودا إليها طوال عمره. بقيت مصر تعيش في داخلها وتجلت بقوة في عالمه القصصي. بل إن بعض قصصه أخذت اسم بعض أحياء مصر التي عاش فيه مثل قصته "في شارع السلام" قصة أولى في مجموعة قصصه "عزيزى فلان وقصص أخرى". فيمكن أن نقول بأن القصة القصيرة عند قد أصبحت أكثر اعتمادا على البيئة العربية وأكثر تفاعلا معها وأكثر مناسبة لطبيعة المجتمع المصري. فهي قصص لها ملابساتها وظروفها المكانية والزمانية تنتمي إلى أقطار عربية مختلفة وتعرج على قضايا متعددة. فبتأثره الوجودية يهتم بالحياة الفردية وبالعالم الباطني للإنسان. ويعتبر أن وجود الإنسان هو حرية وامتلاك الاختيار. فالوجودية ترفض القواعد والقيم الأخلاقية الخارجية التي أوجدها المجتمع ويصر على أن الإنسان وحده يختار قيمته وأخلاقه داخل إطار حريته على حد تعبير سارتر. "للإنسان ليس شيئا آخر غير ما يريد". فقضية الحرية هي محور هام في قصصه حينما يحاول أبطالها الهروب من ظلم الظالمين والمتطرفين ويؤمنون بالاستمتاع بالحياة الحرية. إن بداية الكاتب الأدبية شهدت فترة من التردد في الاختيار بين الأدب والفلسفة. فأثناء دراسته الفلسفية بدأ يكتب قصصا رمزية يستعرض فيها قدراته كما اتجه بعده نحو الأدب الغربي وعرف كثير من الأدباء الألمان مثل جيته وشيلر وتوفاليس ونشر كثير من القصص والمقالات وفي أثناء أشتغاله بالصحافة اتجه إلى الأدب الإيطالى وترجم أكثر من قصص ألبرتو مورافيا.

إنه واحد من هؤلاء الفنانين الذين ارتبطت حياتهم بفنهم ارتباطا وثيقا فكان فنه دائما صورة من حياته وكانت حياته أيضا صورة من فنه. ومثل هذه الحقيقة تنطبق على أنيس منصور تماما فهو ليس كاتب قصة فقط بل هو بطل قصته أيضا. فأدبه ينبع من هذه الحياة فهو يصورها ويفسرها ويكشف علاقة الإنسان بما فيها من أشياء فاسدة خاطئة ثم يستمر دعوته إلى تحرير الإنسان من هذه الظروف التي تسبب بؤس المجتمع المادي والنفسي. أما فكرة الموضوع فتبرز خلال وسائل القصة الفنية وطبقا لطبائع الشخصيات. فهي تعتمد على الحياة ومفارقتها مركبة مفرحة ومحزنة. ويترك الحكم للقارئ في معظم قصصه. يصور العيوب الإجتماعية الشائعة ولا سيما التخلف واالطمع وبرودهم وعدم الاهتمام في مجال الرقي والتعليم في إطار من الحوادث والشخصيات المصرية. ففي قصة "ليلة من ألف" من مجموعة "هي وغيرها" يعبر القاص عن قلقه على تخلف الأمة العربية في مجال الرقي والعلم وضلوع الغرب على تجارب الإغريق والرومان في الشعر والسياسة والعلم والطب والفلك.

عالجت قصصه بتصوير بعض القضايا القومية وبعض القضايا الإنسانية التي تصور رغبة الكاتب في إحداث قدرمن التطور الاجتماعى. "قصة ما" هي خير نموذج الذي يصور أن القاص يحاول دائما أن يتطور الناس عقلا. فالقصة تعكس عن وضع المرأة الخاشعة أمام التقاليد البالية لأسرتها ومجتمعها التي تشعر بالفزع والخوف في حياتها. فهو ينظر لحقوق المرأة وحريتها. وهنا يحاول رصد معاناتها النفسية وصراعها للتخلص من دور الأنثى

التي فرض عليها. إن بعض قصصه التاريخية تدل على تاريخ الظلم بأيدى ملوك مصر على رعاياهم. ففي قصة "الأهرامات تحل مشكلة الفراغ " في مجموعته "شارع التنهدات" يسلط الضوء على هذا الجور من قبل الملوك فيقول إن بناء الأهرام أكبر دليل على استعباد الملوك لرعاياهم. فهذه الأهرام أظهر وأقسى دليل على الظلم الذي كان في مصر الفرعونية. كما يعبر عن الواقع المحلى والقروي بكل ما فيه من نظرة دونية للمرأة وإغراق في المشاكل الاجتماعية وهذه كلها تشغله أكثر من أي شئ ولذلك استخدم في كثير منها بعض مفردات اللهجة العامية التي قد لا تفهم بسهولة من قارئ غير مصرى. فما كانت قصصه إلا صورة أو انعكاسا لمئات الصور من الشباب في مثل تجاربه وتطلعه وخوفه وتخويفه. واندهش جدا كيف أن عددا من القضايا العاطفية والجنسية والاجتماعية كانت تشغله أكثر من أي شئ.

سمات قصص أنيس منصور

- العناية بالواقع المحلي: إنه كمعظم الكتاب لكتابة القصة آثر إيجاد أدب مصري عصري ومن هنا اتخذ من قرى الشمال والصعيد والأحياء الشعبية في المدن خلفية مكانية لكثير من قصصه لأن الواقع المحلي أكثر دلالة على طبيعة الشعب الذي يحتفي بتصوير عوالمه. إنه قد دعا إلى ضرورة وجود أدب مصري .
- تقديم شخصيات من الشرائح شبه الفقيرة التي هي في الحقيقة أقرب إلى نماذج الطبقة الوسطى – الفقيرة اجتماعيا المتعلمة ثقافيا – واختار لقصصه أبطالا يشكلون معادلا موضوعيا لمعاناتهم الخاصة ويناقشون القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية التي كان الكاتب نفسه يتعذب من أجلها واتجاهه الواقعى في القصة تلزم له تصوير قضايا المجتمع الساخنة.
- استخدام العامية في الحوار القصصي: قد استعمل في بعض قصصه اللهجة العامية التي تفهم خارج إطار الواقع المحلى على أحسن تقدير إنه استعمل الحوار العامي لكى يرضى أنصار التجديد.
- فتأثره بفلوبير جعله أن يعيش لفنه ويعيش فنه له. فمن مظاهر التأنق في أسلوبه بأنه كان يمضي الساعات في اختيار الجملة أو اختيار اللفظة الواحدة. فهذا يدل على اهتمامه البالغ في اختيار الألفاظ والتراكيب عند كتابة القصة القصيرة([1]).
- كتب أنيس منصور مجموعة قصصية عديدة ولكن أكبر مجموعاته القصصية هي "عزيزي فلان وقصص أخري "الذي يشتمل على تسع وأربعين قصة تعبر عن الواقع المصري كما تركز على الدوافع والعواطف والواقع النفسي للإنسان. يتناول مجموعته قصصية "عزيزي فلان وقصص أخرى" بعض التجارب التي عاشها ويقدمها على شكل قصص عربية وهي تضم قصصا تعالج بعض مشكلات الحياة العصرية كما تعكس طائفة من صورها الاجتماعية والسياسية في ذلك الحين.
- إن معظم قصصه على غرار حديث لا شأن له بالزمان والمكان. كما هو يشغل دائما بالدوافع والعواطف الإنسانية كما أنه مشغول بالواقع النفسي للناس، ولذا نجد بأن معظم قصصه خلت من الأسماء لا إسم للبطل ولا أسم للمكان، ومع ذلك لا يحدد الزمن، وعلى رغم أنه حاول دائما أن يجعل للأشخاص أسماء، وكذلك أحداثها يمكن وقوعها في أي وقت وفي أي مكان.

[1] أحمد السهيمي, العربية , أنيس منصور الفيلسوف الذي آنس العالم العربي بموقفه لعقود طويلة, دبئ, ٢٢ أكتوبر ٢٠١١

- آثر إيجاد "أدب مصري عصري" ومن هنا اتحذ من قرى الشمال والأحياء الشعبية في المدن خلفية مكانية لكثير من قصصه فيعتبر أن الواقع المحلى أكثر دلالة على طبيعة الشعب الذي يحتفي بتصوير عوالمه.
- الأسلوب الذي اختاره في بعض قصصه هو أسلوب السرد الذاتي إذ إنه عليم ومشارك في الأحداث.
- يطلب الحرية الكاملة من الشكليات والرسميات والقيود التي أوجدها المجتمع عاما وأهل الطبقة العلياء خاصة ويفرضها على فرد عادي كما يهاجم على كل التقاليد الصارمة.
- يرى الحرية الكاملة لكل فرد في المجتمع.
- يظهر تأسفه عن الشباب الذين يتركون العلم والبحث وينصرفون الجلوس إلى زميلاتهم من الفتيات.و يرى الشباب رجال الغد وهم مستقبل الأمة. فلذا يشجعهم أن يتزودا أنفسهم بقيم صالحة ومعارف واسع.
- يحس دائما أوجاع الناس ويتمنى كل الرقى والازدهار في كل طريق حياة المجتمع المصري كالعلم والفنون والموسيقى والطب والأدب والشعر كما كان يقلق على عدم اهتمامه وتخلف الأمة العربية والمصرية في هذا المجال كما يحرص دائما أن يترقى شباب مصر في كل مجال الحياة فيعبرعن قلقه عن شباب مصر.

فإننا نستطيع أن نخلص من كل ما تقدم أن أنيس منصور كان من حلقة الكتاب الذين أسهموا في كتابة القصة القصيرة ودفعوا عجلة الواقعية في مصر إلى الأمام من أمثال توفيق الحكيم، يحي حقي، ونجيب محفوظ، وعبد الرحمن الشرقاوي. إنه يخوض في موضوعات إنسانية واجتماعية كالحب والجنس والرقى كما يسخر العيوب المتفشية في المجتمع المصري كالتخلف في مجال العلم والأدب ويهتم بمشكلات الاجتماع ويحرص لاستخلاص الإنسان من هذه المشاكل ويأتى في كثير من الأحيان بحلول عملي.

المصادر

١. أنيس منصور. بقايا كل شئ. القاهرة . مصر: دار الشروق، بلا تاريخ.

—. عاشوا فى حياتى . القاهرة: دار النهضة للطباعة، بلا تاريخ.

—. عزيزي فلان و قصص أخرى. بلا تاريخ.

—. فى تلك السنة هؤلاء العمظماء ولدوا معا. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١.

—. في صالون العقاد كانت لنا أيام. القاهرة . مصر: دار الشروق، ٢٠٠٦ ط ٥.

—. قلوب صغيرة. القاهرة . مصر: دار الشروق، ١٩٩٧.

—. هي و غيرها. القاهرة . مصر: دار الشروق، ١٩٨٣.

٢. د . محمد يوسف نجم. فن القصة. بيروت: دار صادر للطباعة و النشر، ١٩٩٦.

٣. محمود فوزي. أنيس منصور ذلك المجهول. القاهرة: مؤسسة دار التعاون للطبع و النشر، بلا تاريخ.

٤. د. مجدي العفيفي. آخر ٢٠٠ يوم مع أنيس منصور (مذكرات , مراجعات, اعترافات). بلا تاريخ